

العبودية
لشيخ الإسلام: أحمد بن تيمية
"٦٦١ – ٧٢٨هـ"

دراسة وتحقيق
(من أول الكتاب حتى نهاية فصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

د. منيرة بنت عبد الله الراجحي[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعينه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

(*) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم.

أما بعد: فالعلم حياة النفوس وكمالها، والعلم يشرف بشرف موضوعه , ولا أرفع قدرا، وأوجب مطلبا من شرف العلم بالله - سبحانه - في ربوبيته وأسمائه وصفاته، وحقوقه، وأعظم حق الله - تعالى - على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وهو الغاية من خلق الإنس والجن، كما قال - تعالى -: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦]. وهو أول دعوة الرسل، وجوهر رسالتهم، والغاية من بعثتهم، وأول واجب على المكلف وآخره، ولذلك فإن أنفع ما للمسلم، وأولى ما صرفت به الأوقات، وبذلت في بحثه الطاقات هو هذا المقام العظيم.

ولعل من أهم الكتب في هذا المجال ما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — فقد آتاه الله علما وفقها، وحفظا، وبيانا، قلما يوجد في غيره، وكان معتمده فيما صنفه من تصانيف نصوص الوحيين، فسدده الله في آرائه، ورزقه الصواب في أقواله، وهذه نعمة يمن الله بها على من يشاء من عباده.

ولقد بحثت في فهارس المخطوطات لعلي أجد كتابا مناسبا لتحقيقه، وشاء الله - تعالى - أن أعثر على نسخة مخطوطة لرسالة موسومة بـــ **"العبودية "** لشيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — ذكر فيها تفاصيل كثيرة عن العبادة وحقيقتها وأنواعها ذكرا مؤصلا، فلما قرأتها رأيت أهمية تحقيقها، فتوجهت همتي بعد الاستخارة، والاستشارة إلى دراسة هذا السفر العظيم، وتحقيقه، والتعليق عليه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ومن أهم العوامل التي دفعتني إلى تحقيق هذا الكتاب ما يلي:

١- أن هذا العمل محاولة لتحقيق كنـــز من كنوز التراث الإسلامي

وخدمته بما يجب.

٢- قيمة الكتاب العلمية: فهو مختصر يكاد يكون من أهم الكتب المصنفة في هذا الباب، ومع اختصاره، إلا أنه اشتمل على جميع المسائل المتعلقة بهذا الأصل العظيم، مع دقته في تحري الحق، وإيصاله للناس من منبعه الصافي: الكتاب والسنة.

٣- منـــزلة شيخ الإسلام العلمية وشهرته الواسعة، ولعل من أهم ما يبين هذه المنـــزلة آثاره المنتشرة في الآفاق، وثناء كثير من العلماء عليه، وإقرارهم له بالأمانة والحفظ حتى أنه كان يلقب بشيخ الإسلام.

٤- أن هذا الكتاب في حاجة إلى دراسة وافية لمباحثه وتحقيق علمي لنصه ؛ لأن الكتاب طبع مرات عديدة، وجميع هذه الطبعات التي وقعت بيدي، لم تذكر حتى النسخة التي أعتمد عليها في طبعها فضلا أن تقدم الخدمة المطلوبة في تحقيق الرسائل العلمية.

٥- تشجيع أهل العلم أصحاب الاختصاص الذين استشرتهم في شأن تحقيق هذا الكتاب، ودراسته.

٦- حاجة الناس الماسة إلى فقه هذا الأصل العظيم، فإن حاجتهم إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فلا راحة، ولا طمأنينة، ولا أنس، ولا سعادة، إلا بأن يعرف العبد ربه بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة العمل في هذا الكتاب تقسيمه إلى قسيمين رئيسيين:

الأول: القسم الدراسي

الثاني: القسم التحقيقي

أما القسم الدراسي فقد تضمن فصلين:

الفصل الأول: **ابن تيمية حياته، وعصره**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة العلمية

المبحث الثاني: حياته، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ونسبه

المطلب الثاني: مولده ونشأته

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه

المطلب الرابع: منـــزلته العلمية، وآثاره

المطلب الخامس: مذهبه، وعقيدته

المطلب السادس: وفاته

الفصل الثاني: **كتاب العبودية**، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

المبحث الثاني: تحقيق عنوان الكتاب

المبحث الثالث: تاريخ تأليف الكتاب وسببه

المبحث الرابع: محتويات الكتاب، وكيفية عرض المؤلف لها

المبحث الخامس: منهج المؤلف في الكتاب

المبحث السادس: مصادر الكتاب

المبحث السابع: وصف نسخ الكتاب، وعرض نماذج منها.

* * *

القسم التحقيقي

فيشتمل على تحقيق النص وتوثيقه، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق. ولتحقيق ذلك اتبعت الخطوات الآتية:

أولا: وصف نسخ المخطوط:

سعيت في جمع نسخ الكتاب فتبين لي بعد التقصي والتتبع أن له عددا من النسخ، تحصل لدي منها نسختان مخطوطتان، وأحاول جاهدة الحصول على بقية النسخ أو بعضها، وهي كالتالي:

١- نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية، وهي مصورة من جامعة ليدن بهولندة، محفوظة برقم (٤٥٦٤ / ٧) وتقع في ٢٣ لوحة، عدد الأسطر من ٢٢- ٢٧ سطرا، وكتبت في سنة١٤٤٦ م، ولم يسم الكاتب نفسه، ورمزت لها بالرمز (أ).

٢- نسخة مكتبة الإمام محمد بن عبد الوهاب الخيرية بالبكيرية، وتقع في ٥٢ صفحة، عدد الأسطر من ١٨ — ٢٤، والناسخ سليمان بن سحمان ن ورمزت لها بالرمز (ب).

٣- نسخة مجموع الفتاوى جمع وترتيب بن قاسم وتقع في ٨٦ صفحة، ورمزت لها بالرمز (ج).إلا إذا حصلت على النسخة التي تم اعتماد جامع الفتاوى عليها، وإنما اعتمدتها تحسبا أن يكون قد اعتمد على نسخة لم تصل إليها يدي.

أما بقية النسخ المخطوط والتي لم أقف عليها حتى الآن فهي كالتالي:

أ- له أربع نسخ في المكتبة السليمانية بتركيا هي:

٤- في خزانة أزميرلي إسماعيل رقم (٣٦٣٣) في ٢٢ ورقة

٥- في خزانة حجي محمد رقم (١٦٠٧) في ١٨ ورقة

٦- في خزانة خليل أوكتين رقم (١٠٢) في ٦٣ ورقة

٧- في خزانة أزميرلي رقم (١٠٤١) في ٢٣ ورقة

٨- في المكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم (١٠٤ادب) في ٢٣ ورقة

٩- في جامعة ليدن بهولندة رقم (٢٩٩) في ٢٢ ورقة

ثانيا: منهجي في التحقيق:

سأعمل على إخراج الكتاب بصورة علمية دقيقة حسب الاستطاعة، ولتحقيق ذلك سوف أسلك الخطوات الآتية بعون الله:

أ- سأعتمد النسخة الأولى المصورة من مكتبة الجامعة الإسلامية وأجعلها أصلا للتحقيق؛ وذلك لكونها أصح وأكمل وأقدم النسخ المتوفرة لدي حتى الآن، وذلك ما لم أحصل على نسخة أقدم وأكمل منها، حيث إنني سأعتمد النسخة الأصلية من بين النسخ الخطية التي ستتوفر لي وأجعلها أصلا للتحقيق.

ب- بعد نسخ الكتاب من نسخة الأصل أقوم بإثبات ما في الأصل على حاله ولا أغير منه شيئا باستثناء ما أجزم بخطئه، فإذا وجدت خطأ في الآيات القرآنية، فإني أثبت الصحيح منها في النص المحقق؛ احتراما لكلام الله – تعالى –، ثم أذكر في الهامش ما ورد في الأصل محرفا، بعد التأكد التام من أنه ليس قراءة صحيحة.

ت- أقابل النص المكتوب بالنسخ المتبقية والمرموز لها (ب، ج) وفي حال مخالفته لما في الأصل أثبت في الصلب ما في الأصل ولا أعدل عنه إلا إذا جزمت بخطئه فإني أثبت

الصواب في الصلب بين قوسين من بقية النسخ وأذكر في الهامش أن الأصل فيه كذا وهو خطأ، وإذا حصل في إحدى النسخ أو في جميعها سقط أو نقص عما في الأصل أشير إلى ذلك في الهامش، فإن كان كلمة أو نحوها أعدت ذكره في الهامش، وإلا قلت: من قوله: كذا إلى قوله: كذا سقط من نسخة كذا، وإذا وُجد فيها أو في إحداها زيادة على ما في الأصل، فإن كان النص لا يستقيم بدونها أثبتها في الصلب وأشرت إلى ذلك في الهامش، وإن كان يستقيم بدونها ذكرت الزيادة ومصدرها في الهامش أيضا.

ث- إذا وجد في هامش نسخة الأصل تعليق لاستدراك ما سقط من النص سهواً وألحق تصحيحا، فإني أثبته في مكانه من النص ذاكرة ذلك في الهامش، مشيرة إلى أنه ملحق بهامش الأصل.

وإن كان التعليق من بقية النسخ – ولم يكن في نسخة الأصل – ذكرته في الهامش وبينت مصدره.

ثالثاً: ما يتعلق بكتابة النص، أتبع ما يأتي:

أ- رسم الكتابة بالرسم المعاصر، مراعية القواعد الإملائية الحديثة، ووضع الفواصل والنقط، وعلامات التنصيص، وبدايات الأسطر ووضع الجمل الاعتراضية داخل شرطتين هكذا - -، حتى يتحقق ربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، إلا في النص القرآني فإني أكتبه بالرسم العثماني كما هو في المصحف.

ب- ضبط الألفاظ التي يقع في قراءتها لبس بالشكل، وكذلك الألفاظ والأعلام التي يقع في قراءتها لبس.

ت- وضع الآيات بين قوسين مزهرين هكذا ﴿ ﴾، وجعل الأحاديث والآثار القولية بين قوسين هكذا ( )، وكذلك الكلام المنقول عن العلماء الآخرين بين علامتي تنصيص هكذا " "؛ ليحصل بتلك العلامات تمييز هذه الأشياء المذكورة عن بقية النص.

ث- وضع عناوين لمسائل الكتاب مستمدة ذلك من كلام المؤلف نفسه.

ج- أشير إلى نهاية كل صفحة من الأصل في أحد جانبي الصفحة هكذا: (١ / أ)، وإن كان ذلك في غير الأصل أشرت إلى نهاية كل لوحة في الهامش بنجمة هكذا: (*)، نهاية (١ /د)، فإن وجد في الصفحة نفسها أكثر من نهاية نسخة زدت ذلك في عدد النجمات هكذا (**)، أو (***).

رابعا: عزو الآيات إلى مواضعها في كتاب الله - تعالى - مشيرة في المتن إلى اسم السورة، ورقم الآية.

خامسا: تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، وإذا ورد الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، وإذا لم يرد الحديث في الصحيحين فسأخرجه من كتب السنن والمسانيد، مع إيراد ما تيسر من كلام المحدثين في بيان درجتها صحة وضعفا، وإذا كان الكتاب المعزو إليه مرقم الأحاديث والآثار اقتصرت على ذكر رقم الحديث والباب العام الذي يندرج تحته الخبر كـ: كتاب الطهارة والصلاة والزكاة... إلخ، ولا أذكر الأبواب الجزئية مطلقا إيثارا للاختصار، وإن لم يكن الكتاب مرقما اكتفيت بذكر الصفحة، والجزء مع ذكر الباب العام.

سادسا: عزو الأبيات الشعرية في النص إلى قائليها مع توثيقها من مصادرها حسب الإمكان.

سابعا: ترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في النص بترجمة موجزة، باستثناء الأنبياء والصحابة.

ثامنا: مقابلة النصوص المقتبسة في النص على مصادرها، مع توثيقها، فإن لم أجد المصدر المنقول منه وثقتها بواسطة بعض المصادر التي أفاد منها المؤلف إن وجدت.

تاسعا: أحيل في غالب المسائل التي تناولها المؤلف إلى بعض الكتب التي بحثت تلك المسائل، سواء منها ما هو متقدم على عصر المؤلف، أو متأخر عنه، وسواء كانت تلك المسائل عقدية أو فقهية أو لغوية، أو منطقية، أو غيرها.

عاشرا: أعلق على النص بذكر ما يستدعيه المقام من إيضاح لفظ غريب،أو تفسير اصطلاح، أو نقل فائدة تليق بالمقام من كتب العقيدة، أو تعريف بكتاب، أو طائفة، أو مكان... إلخ.

حادي عشر: ربط مباحث الكتاب بعضها ببعض، وذلك بتعيين موضع الإحالات التي يذكرها المؤلف بقوله: "سيأتي ذكر كذا وكذا" أو "مر ذكر كذا".

ثاني عشر: إذا كانت عبارة الكتاب محتملة لعدة معان أنقل ما يوضح ذلك من كتبه الأخرى التي أقف عليها، أو أشير إلى موضعه ولا سيما إن كان لهذا الاختلاف أثر ظاهر.

ثالث عشر: وضع فهارس تسهل الإفادة من الكتاب، وتشتمل على الآتي:

١- فهرس الآيات

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس الآثار

٤- فهرس الطوائف والفرق

٥- فهرس الأشعار والأمثال

٦- فهرس الأماكن والبلدان

٧- فهرس الأعلام

٨- أذكر في نهاية التحقيق ثبتا بالمصادر والمراجع التي رجعت إليها في تحقيق الكتاب ودراسته.

٩- فهرس الموضوعات (المحتوى).

* * *

القسم التحقيقي

حقيقة العبودية

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

سئل الشيخ الإمام العلامة محيي السنة ومميت البدعة أبو العباس أحمد بن تيمية – رضي الله عنه وأرضاه–، عن: قوله – عز وجل–: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ [البقرة ٢١].

فما العبادة وفروعها؟ وهل مجموع الدين داخل في العبادة [٢] أم لا؟ وما [٣] حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلى المقامات [في الدنيا والآخرة] [٤]، أم فوقها شيء من المقامات؟

وليبسط[٥] لنا القول في ذلك[٦]:

- فأجاب ﷺ:

الحمد لله رب العالمين:

---

(١) في (ب) بعدها: (وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال رحمه الله تعالى): سئل شـيخ الإسـلام ناصر السنة قامع البدعة فريد الوقت، بحر العلوم كنـز المستفيدين، وبقية المجتهدين، الإمام الحجة الرباني، الذي ليس له في عصره نظير ثان، تقي الدين حافظ الحفاظ المتقنين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية أدام الله علو قدره في الدارين، وجعله يتسنم ذروة الكمال، مسرور القلب قرير العـين — عن مهمات من جملتها قول الله– تعالى–:.
وفي (ج) بدأ بـ (سئل الشيخ– رحمه الله تعالى– عن قوله– تعالى–:).
(٢) في (ب) و(ج): "فيها" بدل (العبارة).
(٣) (ما) ساقطة من (ب).
(٤) (في الدنيا والآخرة) ساقطة من (أ) والمثبت من (ب) و(ج).
(٥) في (ج) "وليبسطوا".
(٦) في (ب) "مأجورين إن شاء الله".

العبادة هي:[١] اسم جامع لكل ما[٢] يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: كالصلاة[٣]، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين [وابن السبيل][٤] والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله – ﷺ – وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه[٥]، وأمثال ذلك [هي][٦] من العبادات لله[٧].

---

(١) قال ابن القيم – رحمه الله – في مفهوم العبادة في الشرع: "العبودية اسم جامع لمراتب أربع من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.
فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله – سبحانه– به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وملائكته على لسان رسله عليهم السلام.
وقول اللسان: الإخبار عن قول القلب بما فيه من الاعتقاد، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة، والقيام بذكره وتبليغ أوامره.
وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والمعاداة فيه، والخضوع والذل له، وغير ذلك من أعمال القلب.
وعمل الجوارح: كالصلاة والحج والجهاد وغيرها". مدارج السالكين ١ / ١٠٠.
وانظر تعليق الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله– في شرحه للعقيدة الواسطية (١/ ٢٥) على معنى العبادة، وما الذي تطلق عليه.
(٢) في (ب) "لما".
(٣) في (ج) "فالصلاة".
(٤) "وابن السبيل" ساقطة من (أ)، (ب) والمثبت من (ج).
(٥) في (ب) "من عذابه".
(٦) "هي" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).
(٧) في (ب، ج) "العبادة".

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله[1]، والمرضية له، التي خلق الخلق لها كما قال - تعالى -: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

وبها أرسل جميع [2] الرسل كما قال نوح لقومه: **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** [الأعراف: ٥٩] وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم.

وقال - تعالى -[3]: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾** (النحل: ٣٦).

وقال - تعالى -: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾** (الأنبياء: ٢٥).

وقال - تعالى -: **﴿وأنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾** (الأنبياء ٩٢).

كما قال في الآية الأخرى: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾** [المؤمنون: ٥١].

وجعل ذلك لازما لرسله إلى الموت كما قال - تعالى - [4]: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾**[الحجر ٩٩].

*نهاية (١ / ب)

---

(١) في (ج) "له".
(٢) "جميع" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).
(٣) "تعالى" لم تكتب في (ب).
(٤) "تعالى" لم تكتب في (ج).

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه[1] فقال - تعالى -: **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾** [الأنبياء: ١٩ – ٢٠]، وقال - تعالى -: **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)﴾** [الأعراف: ٢٠٦].

وذم المستكبرين عنها بقوله: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾** [غافر: ٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال - تعالى -: **﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾** [الإنسان: ٦].

وقال **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا[2] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤)﴾** [الفرقان: ٦٣-٦٤] الآيات

ولما قال الشيطان **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾** [الحجر: ٣٩ – ٤٠].

قال الله - تعالى -: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾**. [الحجر ٤٢].

وقال في وصف الملائكة بذلك: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ**

(١) "وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه. ساقطة من (ب).
(٢) في (ج) كتب الآية إلى "هونا" ولم يكملها.

مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)(١) **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** (٢٨)﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٨].

وقال - تعالى -: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا** (٨٨) **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** (٩٠) **أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا** (٩١) **وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** (٩٢) **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** (٩٥)﴾[مريم من ٨٨- ٩٥].

وقال - تعالى - عن المسيح الذي ادعيت فيه الإلهية (٢) والنبوة: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)** ﴾ [الزخرف: ٥٩].

ولهذا قال النبي(٣) ﷺ في الحديث الصحيح: **["لا تُطْرُونِي(٤) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا(٥) أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"]**(٦).

---

(١) في (ج) قال بعدها: إلى قوله: (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ).

(٢) في (ب) "الألوهية".

(٣) "النبي" لم تكتب في (ب).

(٤) "لا تطروني" الإطراء هو المبالغة في المدح بالباطل، قال ابن حجر رحمه الله – في الفتح (٦ / ٦٠٦) "لا تطروني" بضم أوله، والإطراء المدح بالباطل، تقول أطريت فلانا، مدحته فأفرطت في مدحه) أ.هـ. والمقصود من النهي هو: عدم رفع منزلته ﷺ فوق منزلة النبوة والرسالة والعبودية لله تعالى التي اصطفاه الله لها، حتى لا يقع المسلم بما وقع به النصارى بشأن عيسى عليه السلام في دعواهم فيه الإلهية.

(٥) في (ب، ج) "فإنما".

(٦) من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- - رواه البخاري في صحيحه – كتاب "أحاديث الأنبياء" برقم (٣٤٤٥).

وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**﴾ [الإسراء: ١].

وقال - تعالى-[1] في الإيحاء: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)**﴾ [النجم: ١٠].

وقال في الدعوة: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)**﴾ [الجن: ١٩].

وقال في التحدي: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣] فالدين كله داخل في العبادة.

وقد ثبت في الصحيح أن جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان[2]؟ فقال: **أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**). ثم قال في آخر الحديث: (**هذا جبريل جاءكم يعلمكم دنيكم**)[3] فجعل هذا كله من الدين.

---

(١) "تعالى" ساقطة من (أ، ج) والمثبت من (ب).

(٢) "والإيمان والإحسان" ساقطة من (ج).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ – والحديث متفق عليه بغير هذا اللفظ، فرواه البخاري في صحيحه – كتاب الإيمان برقم (٥٠)، وفي كتاب التفسير برقم (٤٧٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال: دنت فلانا. أي: أذللته فذل، ويقال: يدين الله ويدين لله. أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له. فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له.

والعبادة أصل معناها: الذل أيضا. يقال: طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام[١]. (١ / أ)

مراتب المحبة:

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله - تعالى - بغاية المحبة له. فإن آخر مراتب[٢] الحب هو التتيُّم، وأوله العلاقة؛ لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة؛ لانصباب القلب إليه، ثم الغرام، وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق. وآخرها التتيم، يقال: تيم الله. أي: عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه[٣].

ومن خضع لإنسان مع بغضه له فلا[٤] يكون عابدا[٥]، ولو أحب شيئا و لم يخضع له لم يكن عابدا له، كما قد يحب ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله - تعالى -، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء [وأن يكون الله أعظم

(١) انظر: لسان العرب (٥ / ٢٧٧٦، ٢٧٧٨، ٢٧٧٩) مادة (ع ب د)، وتاج العروس (٢ / ٤٠٩)، وقال ابن القيم- رحمه الله- في "روضة المحبين" ص ٥٢: (وأما التعبد: فهو غاية الحب، وغاية الذل، يقال: عبده الحب. أي: ذلله، وطريق معبد بالأقدام. أي: مذلل).

(٢) كتب أمامها في هامش (أ) "قف على مراتب الحب".

(٣) وانظر للتفصيل في هذه المراتب: شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٥ – ١٦٧، بتحقيق التركي والأرناؤوط، وروضة المحبين للإمام بن القيم ص١٦- ٥٢.

(٤) في (ب، ج) "لا".

(٥) في (ج) "عابدا له".

عنده من كل شيء][1] بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله.

فكل ما أُحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا قال[2] – تعالى –: **﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾** [التوبة: ٢٤]، فجنس المحبة تكون لله ورسوله كالطاعة [لله ورسوله][3] والإرضاء لله ورسوله[4]: **﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾** [التوبة: ٦٢]، والإيتاء لله ورسوله: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾** [التوبة: ٥٩].

وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا يكون إلا لله وحده كما قال – تعالى –: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾** [آل عمران ٦٤]، وقال – تعالى –: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩)﴾** [التوبة: ٥٩]، فالإيتاء لله والرسول؛ لقوله[5] –

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) والمثبت من (ب، ج).
(٢) زاد في (ج) "الله".
(٣) "كالطاعة لله ورسوله" لم تكتب في (ب)، وفي (ج)" كالطاعة، فإن الطاعة...).
(٤) "لله ورسوله" لم تكتب في (أ) و (ب)، والمثبت من (ج).
(٥) في (ج) "كقوله".

تعالى[١]: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وأما الحسب - وهو الكافي - فهو الله وحده، كما قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)﴾ [الأنفال: ٦٤]. أي: حسبك وحسب من اتبعك الله.

ومن ظن أن المعنى حسبك الله والمؤمنون معه فقد غلط غلطا فاحشا -كما قد بسطناه في غير هذا الموضع[٢].

وقال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

تحرير ذلك: أن العبد يراد به المعبد الذي عبده الله فذلّله ودبره وصرفه.

وبهذا الاعتبار فجميع المخلوقين[٣] عباد الله من[٤] الأبرار والفجار، والمؤمنين والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته وكلماته التامات التي لا يجاوزها[٥] بر ولا فاجر[٦]، فما شاء كان وإن لم

---

(١) "تعالى" لم تكتب في (أ).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣ / ١٠٧)، (١٠ / ١٥٤)، (٢٦ / ١٥٧)، والتدمرية لابن تيمية ص ٢٠١، وغيرها من المواضع.

(٣) في (ج) "المخلوقون كلهم".

(٤) "من" ساقطة من (ب).

(٥) في(ج) "لا يجاوزهن".

(٦) لعله يشير إلى قوله – ﷺ -: "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ (٤)، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنـزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلاَّ طَارِقًا يَطْرُقُ=

يشاؤوا وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال – تعالى –: **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾** [آل عمران: ٨٣].

فهو- سبحانه- رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواء علموا بذلك[١] أو جهلوه، ولكن[٢] أهل الإيمان منهم علموا[٣] ذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلا بذلك، أو جاحدا له مستكبرا على ربه لا يقر[٤] و[لا] يخضع له مع علمه بأن الله ربه، وخالقه.

فالمعرفة بالحق إذا كان ذلك مع الاستكبار[٥] عن قبوله، والجحد له كان عذابا على صاحبه كما قال – تعالى –: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾** [النمل: ١٤]، وقال – تعالى –: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾** [البقرة: ١٤٦].

=بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ"، الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ٤١٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٤٢)، من حديث عبد الرحمن بن خنبش – ﷺ – وإسناده صحيح – وصححه الشيخ الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة برقم (٨٤٠).

(١) في (ب، ج) "ذلك".
(٢) في (ب، ج) "لكن".
(٣) في (ج) "عرفوا".
(٤) "لا" ساقطة من (أ، ب) والمثبت من ج.
(٥) في (ج) "إذا كانت مع الاستكبار".

وقال - تعالى -: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)** ﴾[الأنعام ٣٣].

فإذا عرف[١] العبد أن الله ربه وخالقه، وأنه مفتقر إليه، ومحتاج[٢] إليه عرف عبوديته[٣] المتعلقة بربوبية الله.

وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع له[٤] ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه، وقد يعبده مع ذلك، وقد يعبد الشيطان والأصنام.

ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل[٥] والنار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال الله[٦] - تعالى -: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)**﴾ [يوسف: ١٠٦].

فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم [٧] ورازقهم وهم يعبدون غيره، قال - تعالى -: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال - تعالى -: ﴿**قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥)**[٨] **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**

---

(١) في (ج) "فإن اعترف".

(٢) في (ب، ج) "محتاج".

(٣) في (ج) "العبودية".

(٤) في (ج) "فيتضرع إليه".

(٥) "أهل" ساقطة من (ج).

(٦) "الله" لم تكتب في (ب) و (ج).

(٧) زاد في (ج) "ورازقهم".

(٨) في (ج) كتب بعدها إلى قوله: "قل فأنى تسحرون".

(٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ (*) بيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وإبليس معترف بهذه الحقيقة، وأهل النار، قال إبليس: **﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)﴾** [ص: ٧٩].

وقال: **﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩)﴾** [الحجر: ٣٩] وقال **﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢)﴾** (١).

وقال **﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾**[الإسراء: ٦٢] (٢).

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره.

وكذلك أهل النار قالوا: **﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦)﴾** [المؤمنون: ١٠٦].

وقال(٣) – تعالى –: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾**[الأنعام: ٣٠].

(*) نهاية (٣ / ب).
(١) "الآية" لم تكتب في ب.
(٢) في (ب) زيادة "لئن أخرتني".
(٣) زاد في (ج) "تعالى".

فمن وقف عند هذه الحقيقة (وعند شهودها و لم يقم بما أمر به من الحقيقة)[١] الدينية (٢ / أ) التي هي عبادته المتعلقة بإلهيته وطاعة أمره وأمر رسوله - ﷺ - كان من جنس إبليس وأهل النار، وإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله - تعالى -[٢] وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط[٣] عنهم الأمر والنهي الشرعيان[٤]، كان من أشر[٥] أهل الكفر والإلحاد[٦].

ومن ظن أن "الخضر" أو غيره[٧] سقط عنهم الأمر[٨] لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسله[٩] حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد[١٠] فيكون عابدا لله لا يعبد إلا إياه فيطيع أمره[١١]

---

(١) من قوله: "وعند شهودها..." إلى هنا ساقط من (ب).

(٢) "تعالى" لم تكتب في (ب) و (ج).

(٣) في (ب): "يسقط".

(٤) يقصد بذلك غلاة الصوفية الذين يزعمون سقوط التكاليف الشرعية عنهم، وانظر ما سيأتي من هذا الكتاب ففيه زيادة إيضاح لمعتقدات هذه الطائفة ومن ثم إبطالها. وانظر مجموع الفتاوى له (٤ / ٣٣٧ - ٣٤١) - (١٠ / ٤٣٤ - ٤٣٦)، (٢٧ / ١٠٠- ١٠٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (٧٤٣ - ٧٤٤).

(٥) في (ب) "شر".

(٦) أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والميل عن الشيء، والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة، ومنه الملحد في الدين، المائل عن الحق.

وأما في الاصطلاح: فهو العدول بأسماء الله، وصفاته، وآياته الشرعية والكونية عن الحق الثابت. انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢ / ٢١٨)، وتفسير ابن كثير (٢ / ٢٦٩)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١ / ١٧٩)، ومعارج القبول لحافظ حكمي (١ / ٨٨).

(٧) في (ج): "وغيره".

(٨) في (ب): "الأمر والنهي".

(٩) في (ج): "ورسوله".

(١٠) انظر ما سبق (ص).

(١١) في (ب): "أمر الله".

وأمر رسوله[١] ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادي أعداءه.

وهذه العبادة متعلقة بإلهيته – تعالى –[٢]؛ ولهذا كان[٣] عنوان التوحيد: لا اله إلا الله بخلاف من يقر بربوبيته[٤] ولا يعبده أو[٥] يعبد معه إلها آخر. فالإله الذي يألهه القلب بكمال[٦] الحب، والتعظيم، والإجلال، والإِكرام، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك.

وهذه العبادة هي العبادة الَّتي يُحبها الله[٧] ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله.

وأما العبد بمعنى المعبّد سواء أقرّ بذلك أَو أنكره فهذا المعنى يشترك فيه الْمؤمن والكافر.

وبالفرق بين هذين[٨] النوعين يعرف الْفرق بين "الحقائق الدينية" الدّاخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعِي التي يُحبها ويرضاها، ويوالي أَهلها ويكرمهم بجنته[٩] وبين "الْحقائق الكونية" الَّتي يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينِية كان من أَتباع إِبليس اللعين والكافرين بربّ العالمين، ومن

---

(١) في (ج): "رسله".
(٢) في (ب): "بإلهية الله تعالى".
(٣) في (أ): "كانت" والتصويب من ب، ج.
(٤) في (ب): "بعبوديته".
(٥) في (ب): "و".
(٦) في (ب): "فكمال".
(٧) لفظ الجلالة "الله" لم يكتب في (ب).
(٨) في (ب): "هذه".
(٩) في (أ): "يحسبه" والتصويب من (ب، ج).

اكتفى بها فِي بعض الأمور دون بعض أَو فِي مقام أَو حال نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية.

وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون، وكثر فيه الاشتباه على السالكين، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المنتسبين إلى التحقيق والتوحيد[١] والعرفان ما لا يحصيهم إِلا الله الذي يعلم السرّ والإعلان.

وإِلى هذا أَشار الشيخ عبد القادر- رحمه الله-[٢] فيما ذُكر عنه بأَن[٣] كثيرا من الرجال إِذا وصلوا إِلى القضاء والقدر أَمسكوا إِلَّا أَنا فإِني انفتحت لي فيه[٤] رَوزَنَةٌ[٥] فنازعت أقدار الحق بالحقِّ للحق، والرجل من يكون منازعا للقدر لَا من يكون مُوافقا للقدر[٦].

والذي ذكره الشيخ- رحمه الله- هو الذي أَمر الله به ورسوله[٧]، لكن كثيراً من

(١) في (ج): "المدعين التحقيق والتوحيد).

(٢) هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلي الحنبلى، قال عنه الذهبى- رحمه الله-: الإمام الشيخ الزاهد، القدوة، وقال عنه ابن كثير - رحمه الله-: كان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولأتباعه فيه مقالات، ويذكرون عنه فيها أقوالاً وأفعالاً أكثرها مغالاة، وله مصنفات منها: (الغنية)، و(فتوح الغيب)، توفي- رحمه الله- سنة (٥٦١ ه). انظر سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٤٣٩)، والبداية والنهاية (١٢ / ٧٦٨).

(٣) في (ج): "فبيّن أن".

(٤) "فيه" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).

(٥) الرَّوْزَنَةُ: كوة، نافذة صغيرة، جمع روازن، والكوة غير النافذة. المعجم الوسيط: ١/ ٣٤٣.

(٦) أورد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذه العبارة في "مجموع الفتاوى" (٨ / ٣٠٣) وغيرها من المواضع، وابن القيم في "مدارج السالكين" (١ / ١٣٥)، ولم أقف على نص هذه العبارة في المطبوع من كتب الشيخ عبد القادر — رحمه الله - ولعلها في المخطوط منها، أو فيما نقل عنه مشافهة، والله أعلم.

(٧) وانظر جواب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - حين سئل عن قول عبد القادر: لمنازعته القدر بالحق، في مجموع الفتاوى / المجلد الثامن "كتاب القدر".

الرِّجال غلطوا، فإنهم قد يشهدون ما يقدّر على أحدهم من المعاصي والذنوب،أَو ما يقدّر على الناس من ذلك، بل من الكفر، ويشهدون أَن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته ومُقتضى مشيئته، فيظنون أن[1] الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به، ونحو ذلك، دينا وطريقا وعبادة، فيضاهون الْمُشركين الَّذين قالوا: **﴿لَو شَاءَ الله مَا أشركنا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حرمنا من شَيْء﴾** [الأَنْعَام: ١٤٨].

وَقَالُوا: **﴿أنطعم من لَو يَشَاء الله أطْعمهُ﴾** [يس: ٤٧].

وَقَالُوا: **﴿لَو شَاءَ الرَّحْمَن مَا عبدناهم﴾** [الزخرف:٢٠] ولو هُدوا لعلموا أَن الْقدر أُمرنا أَن نرضى به ونصبر على موجبه فِي المصائب الَّتِي تصيبنا كالفقر والمَرض والخوف قال – تعالى –[2]: **﴿مَا أصَاب من مُصِيبَة إِلاَّ بِإِذن الله وَمن يُؤمن بِاللَّه يهد قلبه﴾** [التغابن:١١].

قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أَنَّها من عند الله فيرضى ويسلم[3].

وقال – تعالى –: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا**

(١) "أن" ساقطة من (ج).

(٢) في (ب): "قال الله تعالى".

(٣) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره (٢٣ / ٤٢١) برقم٢٦٤٩٦ عن علقمة – رضي الله عنه – إلا أنه قال في آخره "فيسلّم لها ويرضى"، وأورده ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره (٨ / ١٣٨) عن علقمة –رضي الله عنه– وقال: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

نهاية (٤ / ب).

تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)﴾. [الْحَدِيد: ٢٢ -٢٣].

وفِي "الصحيحين"[(١)] عَن النَّبِي – ﷺ- أَنه: "**احتج**[(٢)] **آدم ومُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْت آدم الَّذي خلقك الله**[(٣)] **بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، وعلمك أَسماء كل الأشياء، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنَّة؟**

فقال له[(٤)] **آدم: أَنت موسى الَّذي اصطفاك الله برِسالَته**[(٥)] **وبكلامه، فهل وجدت ذلك مكتوبًا عَليّ قبل أَن أُخلَق؟ قال: نعم**" قال: "**فحج آدم موسى**"[(٦)].

وآدَم عليه السلام لم يحْتَج على مُوسَى بِالْقدرِ ظنّاً أَن المذنب يحتج بالقدر، فإن هذا لا يقوله مسلم، ولا يقوله[(٧)] عاقل، ولو كان هذا عذرا[(٨)] لكان عذرا لإبليس، وقوم نوح، وقوم عاد[(٩)]، وكل كافر، ولا موسى أيضا لام آدم[(١٠)] – عليه السلام[(١١)] لأجل

(١) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء برقم "٣٤٠٩"، وكتاب تفسير القرآن برقم "٤٧٣٦"، "٤٧٣٨"، وكتاب القدر برقم " ٦٦١٤ "، وكتاب التوحيد برقم "٧٥١٥ "، ورواه مسلم في صحيحه كتاب القدر برقم " ٢٦٥٢ ".

(٢) في (ب): "إنما حج" وفي (ج): أنه قال "احتج".

(٣) لفظ الجلالة "الله" لم يكتب في (ب).

(٤) "له" ساقطة من (ج).

(٥) في (ب): "برسالاته".

(٦) القائل: "فحج آدم موسى" هو رسول الله – ﷺ –.

(٧) "يقوله ": ساقطة من (ب، ج).

(٨) في (أ، ب): "عذر" والتصويب من "ج".

(٩) في (ج): "وقوم هود".

(١٠) في (ج): "ولا موسى لام آدم أيضا".

(١١) "عليه السلام": سقط من (ب) و (ج).

الذَّنب-، فَإن آدم قد تاب الله عليه فاجتباه وهداه[١]، ولكن[٢] لامه لأجل المُصيبة الَّتي لحقتهم بالخطيئة، ولهذا قال له[٣]: فلماذا أخرجتنا ونفسك من الْجنَّة؟ فأَجابه آدم[٤]- عليه السلام-: بأن هذا كان مكتوبًا قبل أَن يخلق[٥]. فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدّرا، وما قُدّر من المصائب يجب الاستسلام له فإِنَّه من تَمام الرِّضا باللَّه ربًّا.

وأما الذنوب فليس للعبد أَن يذنب، وَإِذا أذنب فعليه أَن يستغفر ويتوب، فيتوب[٦] من صنوف المعائب، ويصبر على المصائب[٧].

قَالَ - تعالى -: **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾**[غَافِر:٥٥]

وَقَالَ: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ [آل عمرَان:١٢٠]

وَقَالَ - تعالى -: **﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٨٦)﴾** [آل عمرَان: ١٨٦].

وَقَالَ يُوسُف- عَلَيْهِ السَّلام-:**﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾** [يُوسُف:٩٠].

---

(١) في (ب، ج): "فإن آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى".
(٢) زاد في (ب، ج) "لامه".
(٣) "له": ساقطة (ج).
(٤) في (ج): "أن".
(٥) في (ج) "أخلق" وانظر توجيها قيما لشيخ الإسلام ابن تيمية حول محاجة آدم لموسى- عليهما السلام- والرد على من خالف في ذلك في "رسالة الاحتجاج بالقدر" ص ٤ -٩، وكتاب "القدر" ضمن مجموع الفتاوى (٨ / ٣٠٣ – ٣٧٠)، وانظر كذلك: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١ / ١٣٥ – ١٣٦)، وشفاء العليل لابن القيم (١ / ٤٥ – ٥٩) وغيرها.
(٦) سقط من (ب).
(٧) في (ج) "فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب".

فصل: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وكذلك ذنوب العباد[١] يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف (٣/ أ) وينهى عن المنكر– بحسب قدرته –ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله،ويُحب في الله، ويُبغض في الله – تعالى –،[٢] كما قال – تعالى –: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾** إلى قوله: **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾** [الممتحنة: ١– ٣].

وقال – تعالى –: **﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** [٣] **وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾** [المجادلة: ٢٢].

وقال – تعالى –: **﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)﴾** [ص: ٢٨].

وقال – تعالى –: **﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥)﴾** [القلم: ٣٥][٤].

وقال – تعالى –:**﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا**

---

(١) في (ب): "للعباد".

(٢) "تعالى" سقط من (ب) و (ج).

(٣) في (ج): اكتفى بهذا القدر من الآية ثم قال بعدها: "إلى قوله ﴿أولئك كتب في قلوبهم...﴾.

(٤) في (ج) قدم هذه الآية على الآية السابقة.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾[الجاثية: ٢١].

وقال – تعالى –: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ** ﴾[فاطر: ١٩ -٢٢].

وقال – تعالى –[1]: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً**[2] **الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٩)**﴾ [الزمر: ٢٩].

وقال – تعالى –[3]: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ**[4] **وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)**﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

وقال – تعالى –: ﴿ **لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)**﴾[الحشر:٢٠] ونظائر ذلك كثير[5] مما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل وأهل المعصية والطاعة[6].

---

(١) "قال تعالى" مكررة في (ب).
(٢) في (ب، ج) كتب الآية إلى "مثلا".
(٣) في (ج) زاد بعدها: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾.
(٤) في (ج) قال: "إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾".
(٥) "كثير" ساقطة من (ب)، (ج).
(٦) في (ب، ج): "وأهل الطاعة وأهل والمعصية".

وأهل البر والفجور[١]، وأهل الهدى والضلال، وأهل الغي والرشاد، وأهل الصدق والكذب.

فمن شهد "الحقيقة الكونية" دون الدينية سوَّى بين هذه الأجناس[٢] المختلفة التي فرق الله بينها غاية التفريق حتى يؤل به الأمر إلى أن يسوِّي[٣] الله - - تعالى - - بالأصنام،كما قال الله[٤] - تعالى - عنهم[٥]: **﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾** [الشعراء: ٩٧-٩٨] بل قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سوّوا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقا لكل موجود إذ جعلوه هو وجود المخلوقات (*)، وهذا من أعظم الكفر والإلحاد والكفر[٦] برب العالمين[٧].

وهؤلاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عباد لا بمعنى أنهم معبّدون ولا بمعنى أنهم[٨] عابدون؛ إذ يشهدون أنفسهم هي الحق، كما صرح بذلك طواغيتهم

(١) في (ج): "وأهل الفجور".

(٢) في (ب): "الأصناف".

(٣) في (ب): "سوّى"

(٤) لفظ الجلالة "الله" لم يذكر في (ب) و (ج).

(٥) "عنهم" ساقطة من (ب).

(*) نهاية (٥ / ب).

(٦) "والكفر ساقطة من (ج).

(٧) في (ب، ج): "العباد".

(٨) زاد في (ب، ج) "أنهم".

كابن عربي[١] صاحب "الفصوص"[٢] وأمثاله من الملحدين المفترين كابن سبعين[٣] وأمثاله، ويشهدون أنهم العابدون والمعبودون.

وهذا ليس بشهود لحقيقة لا كونية ولا دينية، بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق، وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتا للخالق وللمخلوق[٤]؛ إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم.

وأما المؤمنون[٥] بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم أهل الله[٦] كما قال النبي ﷺ : "**إن لله أهلين من الناس**" قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: "**أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته**"[٧] فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأن

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، والملقب عند الصوفية" بالشيخ الأكبر" صاحب كتاب "فصوص الحكم" و"الفتوحات المكية" وهي من أردأ تواليفه، وله غيرها مئات المصنفات، توفي بدمشق سنة (٦٣٨ه) انظر ترجمته في لسان الميزان (٥ / ٣١١ – ٣١٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٣ / ٤٨ – ٤٩)، وشذرات الذهب (٥ / ١٩٠ – ٢٠٢) والأعلام (٦ / ٢٨١).

(٢) "هو: كتاب "فصوص الحكم" من أشهر كتاباته التي ترشح بالكفر، قال الإمام الذهبي – رحمه الله – "ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله". انظر: السير (٢٣ / ٤٨).

(٣) هو: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المعروف بابن سبعين الصوفي أحد القائلين بوحدة الوجود، له مقالات في تصوف الاتحادية واشتهر عنه مقالات رديئة في ذات الله - تعالى- وفي حق نبينا محمد ﷺ قيل: إنه توفي منتحرا أو مسموما في مكة سنة ٦٩٦هـ. انظر: لسان الميزان (٣ /٣٩٢)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٢٩)، والأعلام (٧ / ١٧٠).

(٤) في (ب، ج): "والمخلوق".

(٥) في (ب): "وأما المؤمنين" وهو خطأ.

(٦) في (ب، ج): "أهل الكتاب".

(٧) رواه ابن ماجه في المقدمة من سننه، باب "فضل من تعلم القرآن وعلمه" برقم (٢١٥)، وأحمد في المسند (٣ / ١٢٧ – ١٢٨ – ٢٤٢ والحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٦٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة في زوائد بن ماجه" إسناده صحيح، وصححه الألباني –رحمه الله- في "صحيح ابن ماجه" برقم (١٧٨).

الخالق - سبحانه- مباين للمخلوقات[١] ليس هو حالا فيها[٢]، ولا متحدا بها، ولا وجوده وجودها[٣]، "والنصارى" إنما كفَّرَهم الله بأن قالوا: بالحلول والاتحاد[٤] بالمسيح

---

(١) في (ب): "للمخلوقين"، وفي (ج) "للمخلوق".

(٢) في (ب، ج): "فيه".

(٣) في (ب، ج): "ولا متحدا به ولا وجوده وجوده " كما هو معتقد غلاة الصوفية وغيرهم من الطوائف.

(٤) الحلول والاتحاد من مصطلحات الصوفية والباطنية- الحلول يراد منه في اصطلاح القائلين به:حلول الله ﷻ في مخلوقاته، أو بعض مخلوقاته، وهو على قسمين: - حلول عام: وهو اعتقاد أن الله – تعالى – قد حل في كل شيء، مع وجود التباين، بمعنى أنه ليس متحدا بمن حل فيه، بل هو في كل مكان مع الانفصال، فهو إثبات لوجودين، كقول الجهمية: "أن الله – تعالى - بذاته في كل مكان".

- حلول خاص: وهو اعتقاد أن الله ﷻ قد حل في بعض مخلوقاته، مع اعتقاد وجود خالق ومخلوق: كاعتقاد النصارى، وبعض غلاة الرافضة – كالنصيرية – وبعض غلاة الصوفية باعتقادهم أن الله ﷻ قد حل في بعض مشايخهم.

- أما الاتحاد أو وحدة الوجود: فيراد منه في اصطلاح القائلين به: اتحاد الله ﷻ بمخلوقاته أو بعض مخلوقاته.

وهو على قسمين:

- الاتحاد العام: وهو اعتقاد كون الوجود هو عين الله – تعالى- الله عن ذلك- بمعنى أن الخالق متحد بالمخلوقات جميعها.

وهذا هو معنى: وحدة الوجود، والقائلون به يسمون "الاتحادية" أو "أهل وحدة الوجود" كغلاة الصوفية.

- الاتحاد الخاص: وهو اعتقاد أن الله – جل وعلا – اتحد ببعض مخلوقاته دون بعض، فالقائلون بذلك نزهوه عن اتحاده بالأشياء القذرة، فقالوا: إنه اتحد بالأنبياء، أو الصالحين، أو الفلاسفة، وغيرهم. فصاروا هم عين وجود الله ﷻ كقول بعض فرق النصارى: إن اللاهوت اتحد بالناسوت فصارا شيئا واحدا، وبعض الغلاة من الصوفية.

انظر ذلك وغيره في التفريق بين هذه المصطلحات، على سبيل المثال: التعريفات للجرجاني ص ٩٢، ٢٥٠، والفرق بين الفرق للبغدادي ص٨٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ١٤٠ – ١٤٢- ١٧١- ١٧٢ – ٢٩٥- ٢٩٧-، ٣٦٤ – ٣٧٢، ٤٣٥ – ٤٩٣) ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦ / ١٥١ – ١٥٢)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣٨٣/٥)، والاستقامة لابن تيمية (١ / ١٨٨) "وملتقى أهل التفسير" على الشبكة العنكبوتية مقال د. محمد الحمد "الحلول والاتحاد".

خاصةً، فكيف من جعل[١] ذلك عاما في كل مخلوق؟

ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ﷺ وأنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر، وأن على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا[٢] أمره ويستعينوا به على ذلك كما قال – تعالى –: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)**﴾ [الفاتحة: ٥].

ومن عبادته وطاعة أمره: الأمر[٣] بالمعروف والنهي عن المنكر – بحسب الإمكان –، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق فيجتهدون في إقامة دينه، مستعينين به، دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يخاف من (آثار) ذلك، كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل، ويدفع به الجوع المستقبل، وكذلك إذا أزال البرد دفعه[٤] باللباس، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه، كما قالوا[٥] للنبي –ﷺ –: يا رسول الله[٦]: أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتقيها[٧]، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: **"هي من قدر الله"**[٨].

---

(١) في (ب): "بمن فعل".
(٢) في (ب): "ويطيعوا".
(٣) في (ج): "وطاعته الأمر ...".
(٤) في (ج): "آن أوان البرد دفعه".
(٥) في (ب): "قيل".
(٦) جملة "يا رسول الله" ساقطة من (ب).
(٧) في (ج): "نتقي بها".
(٨) رواه الترمذي في "سننه" كتاب الطب حديث رقم (٢١٤٨) ثم قال: "هذا حديث حسن"، وابن ماجه في "سننه" كتاب الطب حديث رقم (٣٤٣٧)، وأحمد في المسند (٣ / ٤٢١)، وغيرهم من حديث أبي خزامة بن يعمر رضي الله عنه وضعفه الألباني – رحمه الله – في ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٧٤٩).

وفي الحديث: "**إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان**[(١)] **بين السماء والأرض**"[(٢)].

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله - ﷺ- العابدين لله - تعالى - وكل ذلك من العبادة.

وهؤلاء الذين يشهدون "الحقيقة الكونية"وهي[(٣)] ربوبيته - تعالى - لكل شيء، ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الديني الشرعي على مراتب في الضلال:

فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا [(٤)] فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه (الشريعة)[(٥)].

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿**لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ**﴾ [الزخرف: ٢٠].

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا، بل كل[(٦)] من احتج بالقدر فإنه متناقض[(٧)]

---

(١) أي: يتصارعان فأيهما غلب أصاب.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه عن عائشة – رضي الله عنها- كتاب الدعاء، حديث رقم (١٧٦٤)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، والبزار كما في "كشف الأستار" عن أبي هريرة حديث رقم (٢١٦٢) ثم قال: "وفيه ابن خيثم بن عراك، وهو متروك" وقال ابن حجر في"تلخيص الحبير (٤ / ١٢١) برقم (١٩٠٩): "وفي إسناده زكريا بن منظور وهو متروك" فخالف بذلك الحاكم.

(٣) في (ب): "وهو".

(٤) "عاما" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب) و(ج).

(٥) في (ب) و(ج): "الشريعة".

(٦) "كل" ساقطة من (ب).

*(٤ / أ).

(٧) "فإنه" ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب) و(ج).

فإنه لا يمكنه[١] أن يقرَّ كل آدمي على ما فعل، فلا بد[٢] إذا ظلمه ظالم، أو ظلم الناس ظالم، وسعى في الأرض بالفساد، وأخذ يسفك دماء الناس، ويستحل الفروج، ويهلك الحرث والنسل * ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها، أن يدفع هذا العدوان[٣] بحيث[٤] أن يعاقب[٥] الظالم بما يكف عدوان أمثاله، فيقال له: إن كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك، وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك: [إن القدر حجة].

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون "بالحقيقة الكونية" لا يطّرِدون هذا القول ولا يلتزمونه، وإنما هم بحسب أهوائهم وآرائهم[٦] كما قال فيهم بعض العلماء[٧]: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به؟!

ومنهم صنف يدّعون التحقيق والمعرفة فيزعمون[٨] أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلا[٩]، وأثبت له صنعا[١٠]. أما من شهد أن أفعاله مخلوقة، أو أنه مجبور على

(١) في (ج): "لا يمكن".
(٢) في (ب): "بل".
(٣) في (ج): "القدر".
(٤) "بحيث" سقط من (ب) و (ج).
(٥) في (ب): "ويعاقب".
(٦) في (أ): "آراءهم وأهواءهم" والتصويب من (ج).
(٧) القائل هو: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المتوفى سنة (٥٩٧هـ) في كتابه "صيد الخاطر"(ص)، ونسبها ابن تاوى (٨ / ١٠٧)، ومجموعة الرسائل والمسائل ص ٢٤، وغيرها.
(٨) في (ب): "ويزعمون".
(٩) في (ب): "فعال".
(١٠) في (ب): "صفات" وهذا هو مذهب غلاة الصوفية في "العامة" أنه يلزمهم الأمر والنهي، وهم أصحاب الشريعة.

ذلك[١]، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك[٢] سائر المتحركات، فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد[٣].

وقد يقولون: "من شهد الإرادة"[٤] سقط عنه التكليف. ويزعم أحدهم أن "الخضر"[٥] سقط عنه التكليف لشهوده * الإرادة.

فهؤلاء يفرقون[٦] بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية، فشهدوا أن الله خالق أفعال[٧] العباد[٨] وأنه مريد[٩] لجميع الكائنات.

---

(١) في (ب): "فإن".

(٢) في (ج): "تحرك".

(٣) كما هو مذهب غلاة الصوفية في "الخاصة" الذين شهدوا الحقائق الغيبية -كما زعموا- وهؤلاء تسقط عنهم التكاليف فلا يلزمهم أمر و نهي، وهم أصحاب الحقيقة، وهذا كفر بالله- تعالى-.

(٤) "شهود الإرادة" من مصطلحات الصوفية، ومعناها عندهم: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودا أو شهودا، ، والمراد: انكشاف الغيب لبعض البشر، ومشاهدة المغيبات. انظر "التعريفات للجرجاني (ص ١٨٤)، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" (١١/ ٣١٣، ٣١٨، ٤٢٢)، "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية (٥ / ٣٢٠ – ٣٤٩)، "ومدارج السالكين" لابن القيم (٣ / ٨١ -٨٢، ١١٠ – ١١١، ٢٢٨).

(٥) والخضر – عليه السلام – تعتبر قصصه وأخباره في الفكر الصوفي خرافة من الخرافات، فهم يعتقدون أن الخضر ما زال حيا إلى الآن، وأنهم يتلقون منه التوجيهات من العلم اللدنّي الذي عنده، يقول ابن تيمية رحمه الله – في شأن الخضر – عليه السلام- " والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام"، انظر مجموع الفتاوى (١ / ٢٧، ١٥٧، ١٧٢، ٢٤٩)، (٤ / ٩٣ -٩٤) و(١١ / ٢٨٨)، (٣١٣ / ٧١، ٧٨، ٩٣)، (٢٧ / ١٨، ١٠٠ – ١٠٢، ٣٩٠ – ٣٩٢، ٤٨٥)، والفتاوى الكبرى (٤ / ٤٤٨)، ومنهاج السنة النبوية (٤ / ٩٣- ٩٤)، وكتاب الزيارة (ص ٤٤٩)، وغيرها من المواضع.

*(نهاية ٦ / ب).

(٦) في (ج): "فهؤلاء لا يفرقون".

(٧) في (ب): "الأفعال".

(٨) "العباد" ساقطة من (ب).

(٩) في (ج) "يدبر".

وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً، وبين من يراه شهوداً، فلا يسقطون التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط، ولكن [يسقطونه] عمن يشهده فلا يرى لنفسه فعلا أصلا.

وهؤلاء يجعلون الجبر(١)، وإثبات المقدور(٢) مانعا من التكليف على هذا الوجه.

وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد. وسبب ذلك: أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يُقدّر عليه خلافه(٣). كما ضاق نطاق المعتزلة(٤) وغيرهم(٥) من القدرية (٦) عن ذلك.

---

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب – تبارك وتعالى– وأصل قولهم الجهم بن صفوان الترمذي، الجبرية: طائفة ذهبت إلى القول بأن الإنسان مجبر على فعله، لا له حرية ولا اختيار، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة، والجبرية المتوسطة تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا. انظر: "الفرق بين الفرق" للبغدادي (ص ١٢٦ – ١٣٠)، "والملل والنحل" للشهرستاني (١ / ٨٥ – ٨٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢١ –٣٤٠، ٦٣٩– ٦٥٠، ٧٩٢ – ٧٩٧)، وانظر اختلاف المذاهب في القدرة وأفعال العباد والقول الحق فيها.

(٢) في (ب، ج): "القدر".

(٣) في (ب): "خالقه".

(٤) المعتزلة:هم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وسموا بذلك لاعتزالهم الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، وقولهم بأنه لا مؤمن ولا كافر، ولاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري – رحمه الله – في قصة ذكرها أصحاب المقالات، وهم فرق متعددة تجمعهم الأصول الخمسة التي تتضمن تعطيلا للصفات، ونفي للقدر، وتخليد عصاة الموحدين في النار، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، وجواز الخروج على ولاة الجور. انظر: "التنبيه والرد" للملطي (ص ٤٩ – ٥٢)، "والفرق بين الفرق" (ص ١١٤ – ١١٦)، والملل والنحل (١ / ٤٣)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠٣، ٦٣٩ – ٦٥٠، ٧٩٢).

(٥) في (ب، ج): "ونحوهم".

(٦) القدرية: اسم أطلقه أهل السنة على نفاة القدر، ومنهم القدرية الغلاة الذين يقولون: لا قدر والأمر أنف. أي: مستأنف، أي: لم يسبق به قدر ولا علم من الله – تعالى – وإنما يعلمه بعد وقوعه، وقد اندثرت هذه الفرقة – كما ذكر ابن حجر – ومنهم القدرية المتوسطون، وهم القائلون: "بأن العبد يخلق فعله"، وفيهم طوائف الاعتزال، قال ابن حجر عن القرطبي أنه قال: "والقدرية اليوم مطبقون على أن الله=

ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين وردت القضاء والقدر الذي هو: إرادة الله العامة، وخلقه لأفعال العباد. وهؤلاء[١] أثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر؛ إذ[٢] لم يمكنهم نفي ذلك مطلقا.

وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة؛ ولهذا لم يكن في السلف[٣] من هؤلاء أحد، وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية، ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود[٤] هذه الحقيقة سقط[٥] عنه الأمر والنهي[٦]، وصار من الخاصة[٧]. وربما تأولوا على ذلك قوله - تعالى -: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)**﴾ [الحجر: ٩٩] وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة.

= - تعالى- عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في: أن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال. كما يطلق لقب القدرية على المثبتة الغلاة، وهم الجبرية القائلون: بأن العبد لا إرادة له، ولا فعل ولا اختيار. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١ / ١٥٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ٢٥)، والتنبيه والرد (ص ١٧٦)، والفرق بين الفرق (١١٤)، والملل والنحل (١ / ٤٣)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢٦ - ٣٧، ٩٧- ٩٩، ١٢٦ - ١٣٠)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١ / ١١٩)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٣٩- ٦٤٠، ٧٩٦ - ٧٩٧).

(١) أي: غلاة الصوفية في القدر.

(٢) في (ب): "إذا".

(٣) السلف: هم أهل القرون الثلاثة المفضلة - حسب المفهوم التاريخي لمصطلح السلف -، كما يطلق السلف على من سار على سبيلهم وأخذ بمعتقدهم - حسب المفهوم العقدي لمصطلح السلف. انظر "مقدمات في الاعتقاد" أ.د. ناصر القفاري (ص ٩٩).

(٤) "شهود" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).

(٥) في (ج): "يسقط".

(٦) في (ب) زاد بعدها: "وصار الى شهود هذه الحقيقة" سقط عنه الأمر والنهي، وهو تكرار وتصحيف في بعض الكلمات.

(٧) حسب زعمهم الباطل هي أعلى مراتب التوحيد وهو توحيد الخاصة، وإلا فهو يصل إلى حد الكفر والإلحاد، نسأل الله السلامة والعافية. انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٢١)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٣، ٧٤٣).

وقول هؤلاء كفر صريح، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر[١] فإنه[٢] قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازم لكل عَبد ما دام عقله حاضراً إلى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهي لا بشهوده[٣] القدر، ولا بغير ذلك، فمن لم يعرف ذلك عُرِّفَه وبُيِّنَ له، فإن أصر على اعتقاد سقوط[٤] الأمر والنهي فإنه يقتل[٥].

وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأخرين، وأما المتقدمون[٦] من هذه الأمة فلم[٧] تكن هذه المقالات معروفة فيهم.

وهذه المقالات هي محادة[٨] لله ورسوله، ومعاداة له وصد عن سبيله، ومشاقة له، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل

(١) الشيخ- رحمه الله- يشير إلى مسألة مهمة وهي مسألة "العذر بالجهل" من التكفير وعدم التكفير ؛ لأن هناك شروطا للتكفير وموانع عنه، فالكفر من الوعيد الذي نطلق القول به، ولكن لا نحكم للمعيَّن بالكفر حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له. انظر للتوسع في ذلك كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيره في: مجموع الفتاوى (٣ / ٢٢٩ -٢٣٠، ٢٨٢ – ٢٨٣، ٣١٥ – ٣٥٤) و (٧ / ٦٩١) و(١٢ / ٤٨٩، ٤٩٧ – ٤٩٨، ٥٠٠ - ٥٠١)، ومنهاج السنة النبوية (٥ / ٢٥١)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٣٢-٤٣٩)، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص ٤٢٠ – ٤٢٦، ٤٣٤ – ٤٣٦)، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – (٢ / ١٢٥ – ١٢٦، ١٣٤- ١٣٦)، وغيرها.

(٢) في (ب): "بأنه".

(٣) في (ب): "لشهود".

(٤) في (ب): "على اعتقاده بسقوط".

(٥) وانظر في ذلك: المغني لابن قدامة (٢ / ٤٤٢) , (١٢ / ٢٧٦ – ٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٧ / ٦٠٩ – ٦١٠) و(١١ / ٤٠٥)، و(١٢ / ٥٢٧ – ٥٣٤)، (٢٠ / ٩٠).

(٦) في (ب): "المتقدمين"، وفي (ج) "المستقدمون".

(٧) في (أ): "لم" والتصويب من (ب، ج) وهو الأنسب للسياق.

(٨) في (ب): "محادات".

ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو[١] طريق الرسول، وطريق أولياء الله المحققين، فهو في ذلك بمنـــزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما يحصل له[٢] من الأحوال القلبية[٣].

أو أن الخمر حلال له؛ لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر، أو أن الفاحشة حلال لَهُ؛ لأنه صار كالبحر لا تكدره[٤] الذنوب ونحو ذلك.

ولا ريب أن المشركين الذين كذّبوا الرسل[٥] يترددون بين البدعة[٦] المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله، فهؤلاء[٧] الأصناف فيهم شبه من المشركين؛ إما أن يبتدعوا، وإما أن يحتجوا بالقدر، وإما أن يجمعوا بين الأمرين، كما قال – تعالى – عن المشركين: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾** [الأعراف:٢٨].

---

(١) "هو" ساقطة من (ب).

(٢) في (ب، ج): "حصل".

(٣) في (أ): "القبلية" والتصويب من (ب، ج).

(٤) في (ب): "يكدره".

(٥) في (ب): "الرسول".

(٦) البدعة في اللغة: اسم هيئة من الابتداع، وهو الشيء المخترع على غير مثال سابق، وتأتي بمعنى التعب والكلال. انظر: لسان العرب "بدع" (٨ / ٦-٧)، ومختار الصحاح للرازي (ص ٤٣)، وفي الاصـــطلاح: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبـــد لله تعـــالى، ويقصـــد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية "الاعتصام للشاطبي" (١ / ٥٠ – ٥١)، وانظـــر: الحـــوادث والبدع للطرطوشي (ص ٤٠)، والباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شـــامة المقدســـي (ص ٨٦)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤ / ١٠٧- ١٠٨) و (١٨ / ٣٤٦) نفس المصدر.

(٧) في (ب): "فهذه".

وكما قال - تعالى – عنهم: ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:١٤٨].

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام، والعبادة التي ما شرعها [(١)] الله بمثل قوله: ﴿ **وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام: ١٣٨] إلى آخر السورة.

وكذلك في سورة الأعراف في قوله:﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٧]:[(٢)] إلى قوله: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**[(٣)] **قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ (٢٨)**﴾ إلى قوله: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**[(٤)] **قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ إلى قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣)**﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة، كما يسمون ما يشهدون من

---

(١) في (ب، ج): "لم يشرعها".
(٢) في (ب): "وإلى".
(٣) في (ب) كتب بعدها: "إلى قوله [قل أمر ربي ...]".
(٤) في (ج): كتب بعدها: "إلى قوله: [قل إنما حرم ربي ...]".

القدر حقيقة.

وطريق الحقيقة عندهم هو: السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه ويذوقه ويجده[١] ونحو ذلك.

وهؤلاء لا[٢] يحتجون بالقدر مطلقا، بل عمدتهم (٥/أ) اتباع آرائهم وأهوائهم، وجَعلِهم لما يرونه وما يهوونه حقيقة، وأمرهم باتباعها دون اتباع[٣] أمر الله ورسوله، نظير[٤] بدع أهل الكلام[٥]، من الجهمية[٦] وغيرهم[٧]، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات[٨]. ثم الكتاب والسنة إمّا أن يحرفوه عن مواضعه، وإمّا أن يُعرضوا عنه بالكلية[٩]، فلا يتدبرونه، ولا يعقلونه، بل يقولون: نُفَوّضُ معناه إلى الله، مع اعتقادهم

---

(١) الرؤى والذوق والوجد من مصطلحات الصوفية ومصادر التلقي عندهم. انظر مجموع الفتاوى (١/ ١٩٦)، والاستقامة (١/ ٢٢)، ومدارج السالكين (٢ / ٣٣٤، ٤٩٤ – ٤٩٤)، والصواعق المرسلة (٣ / ١٥١)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة للجهني (١ / ٢٦٥ – ٢٦١).

(٢) "لا" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).

* (٥ / أ).

(٣) "اتباع" ساقطة من (ب).

(٤) في (ب) "ونظير".

(٥) أهل الكلام كما يقول ابن عبد البر: "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا: هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع". جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٦).

(٦) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، المقتول سنة ١٢٨ ه، وهم معطلة في الصفات، جبرية في القدر، مرجئة محضة في الإيمان، وقالوا بفناء الجنة والنار. انظر: التنبيه والرد (ص ١١٠)، والفرق بين الفرق (ص٢١١-٢١٢)، والملل والنحل (١ / ٨٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٧٩٥).

(٧) كالمعتزلة والأشاعرة والباطنية وغيرهم.

(٨) السمعيات: هي الأدلة النقلية الشرعية من الكتاب والسنة.

(٩) في (ب) "ولا".

لنقيض[(١)] مدلوله، وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة.

وكذلك أولئك[(٢)] إذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله المخالفة للكتاب والسنة، وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أولياؤه.

وأصل ضلال من ضل هو تقديم قياسه[(٣)] على النص المنـــزل من عند الله، واختياره الهوى على اتباع أمر الله، فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد. فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته. فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي – ﷺ – بقوله في الحديث الصحيح: **"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"**[(٤)] وقال ﷺ في الحديث الصحيح: **"ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيا"**[(٥)].

وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه.

---

(١) في (ج) "نقيض".

(٢) أي: غلاة الصوفية.

(٣) نعم، فأصل ضلال من ضل هو: تقديم الأقيســـة العقليـــة، والآراء والأهـــواء، والمواجيـــد والأذواق والكشف، على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب "الإيمان" حديث رقم (١٦، ٢١)، وكتاب "الأدب" حديث رقـــم (٦٠٤١)، وكتاب "الإكراه" حديث رقم (٦٩٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب "الإيمان" حديث رقـــم (٤٣) من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه –.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب "الإيمان" حديث رقم (٣٤) من حديث العباس بن عبد المطلـــب – رضي الله عنه – إلا أنه قال في آخره "رسولا".

قيل لسفيان بن عيينة:[١] "ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم؟ قال:[٢] أنسيت قوله:[٣]**﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾** [البقرة: ٩٣] أو نحو هذا من الكلام".

فعبّاد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال - تعالى -: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾** [البقرة:١٦٥] وقال[٤]: **﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾** [القصص:٥٠].

وقال[٥]:**﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾** [النجم: ٢٣].

ولهذا يميل هؤلاء[٦] إلى سماع الشعر والأصوات التي تهيّج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان بل يشترك فيها مُحب الرحمن، ومُحب الأوثان، ومُحب الصلبان، ومُحب الأوطان، ومُحب الإخوان، ومُحب المردان، ومُحب النسوان، وهؤلاء الذين يتبعون

(١) هو: أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، مولاهم، ولد بالكوفة سنة (١٠٧هـ)، كان إماما عالما، حجة زاهدا، مجمعا على إمامته وصحة حديثه، توفي – رحمه الله – سنة (١٢٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤ / ١١٧) والسير (٨ / ٤٥٤).

(٢) في (ب، ج): "فقال".

(٣) في (ج): "قوله تعالى".

(٤) في (ب): "وقال تعالى".

(٥) في (ب): "وقال تعالى".

(٦) أي: الصوفية المبتدعة.

أذواقهم[١] ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف[٢] الأمة.

فالمخالف لما بعث الله[٣] به رسوله[٤] من عبادته وطاعته، وطاعة رسله[٥]، لا يكون متبعا للدين[٦] الذي[٧] شرعه الله- كما قال[٨] :**﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**[٩] **وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾** [الجاثية:١٨-١٩] بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله، قال - تعالى -: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾** [الشورى: ٢١] وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسموها حقيقة يقدموها على شريعة[١٠] الله، وتارة يحتجون بالقدر

(١) في (أ) في المتن "أشواقهم" وكتب في هامشه "وفي نسخة: أذواقهم" وكذلك في (ب، ج) وهو الأنسب للسياق.
(٢) "الأمة" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).
(٣) لفظ الجلالة "الله" لم يكتب في (ج).
(٤) في (ب): "رسله".
(٥) في (ج): "رسوله".
(٦) من قوله: "للدين الذي شرعه الله" إلى قوله: "بل يكون متبعا" ساقطة من متن (ب) وملحق بهامشه للتصويب.
(٧) "الذي" ساقطة من (ج).
(٨) في (ب، ج): "قال تعالى".
(٩) في (ج) قال بعدها: " إلى قوله ﴿والله ولي المتقين ﴾".
(١٠) في (ج): "على ما شرعه الله".

الكوني[١] على شريعة الله[٢]، كما أخبر به عن المشركين كما تقدم[٣]. ومن هؤلاء طائفة هم[٤] أعلاهم قدرا، وهم مستمسكون بالدين في أداء الفرائض المشهورة، واجتناب المحرمات المشهورة، لكن يغلطون في ترك ما أُمروا به من الأسباب التي هي عبادة، ظانين أن العارف[٥] إذا شهد القدر أعرض عن ذلك. مثل من يجعل التوكل منهم، و[٦] الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة، بناء على أن من شهد القدر علم بأن [٧] ما قدر سيكون، فلا[٨] حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم.

فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها، كما قال النبي ﷺ: **"إن الله خلق للجنة أهلا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل الجنة**

(١) "المحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، وهي المتضمنة للمحبة والرضى، وأما الكونية فهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات" وانظر في تفصيل ذلك: منهاج السنة النبوية (٣ / ١٥٦ – ١٥٧، ١٨٠ – ١٨٣)، (٥ / ٣٦٠، ٤١٤)، (٧ / ٧٢ –٧٣)، الاستقامة (١ / ٤٣٣)، (٢ / ٧٨)، مجموع الفتاوى (٨ / ٤٧٥ – ٤٨٠)، مدارج السالكين (١ / ٢٥٣- ٢٥٤، ٢٦٤- ٢٦٨). شرح العقيدة الطحاوية (ص ٧٩ – ٨٤، ٣٢٠- ٣٣١، ٦٣٩ – ٦٥٧).

(٢) في (ج): "على الشريعة".

(٣) انظر (ص).

(٤) "هم" ساقطة من (ب).

(٥) من مصطلحات الصوفية ومعناه عندهم كما يقول ابن عربي الصوفي: "العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء". الفصوص (ص ١٩٢) ذيل التعريفات للجرجاني. فالمعرفة عندهم هي: معرفة وحدة الوجود، وأن العارف عندهم هو الذي يعرف أن الكون هو الله – تعالى الله عن ذلك – ذوقا واستشعارا.وانظر كلام ابن تيمية عن العارف في: التدمرية (ص ١٨٦ – ١٨٨)، ومجموع الفتاوى (١٣ / ١٩٩).

(٦) في (ب، ج): "أو".

(٧) في (ب، ج): "أن".

(٨) في (ب) "ولا".

يعملون، * وخلق[١] **للنار** أهلاً، **خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل النار يعملون"**[٢] **وكما قال النبي ﷺ لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: "لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أمّا من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأمّا من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل**[٣] **أهل الشقاوة** [٤].

فما أمر الله به عباده من الأسباب هو[٥] عبادة، والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله: **﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾** [هود: ١٢٣] وفي قوله: **﴿قُلْ**[٦] **هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾** [الرعد: ٣٠]وقول شعيب – عليه السلام[٧]: **﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾** [هود: ٨٨].

ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات، فتنقص بقدر ذلك.

---

(١) من قوله: "وخلق للنار أهلاً" إلى قوله: "وبعمل أهل النار يعملون" ساقطة من (ج).
(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب "القدر" حديث رقم (٢٦٦٢)، بلفظ: إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها...) من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–.
(٣) "لعمل" ساقطة (أ)، والمثبت من (ب، ج)، ومن نص الحديث من مصادره.
(٤) رواه بلفظه: البخاري في صحيحه، كتاب "التفسير" حديث رقم (٤٩٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب "القدر" حديث رقم (٢٦٤٧)، ورواه البخاري بألفاظ متقاربة في كتاب التفسير (٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٧، ٤٩٤٨) وفي كتاب الأدب، برقم (٦٢١٧) وغيرها.ومسلم في كتاب القدر برقم (٣٦٤٧) من حديث على بن أبي طالب – رضي الله عنه– وفي الباب عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه–.
(٥) في (ج): "فهو".
(٦) "قل" ساقطة من (أ).
(٧) "عليه السلام" سقط من (ب).

ومنهم طائفة يغترون[١] بما يحصل لهم من خرق عادة – مثل مكاشفة[٢].

أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة، ونحو ذلك- فيشتغل[٣] أحدهم عما أمر به من العبادات[٤] والشكر، ونحو ذلك.

فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض[٥] لأهل السلوك والتوجه، وإنما ينجو العبد منها بملازمة[٦] أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري[٧] — رحمه الله -: كان من مضى من سلفنا يقولون:

---

(١) في (ب) "مغترون".

(٢) "الكشف أو المكاشفة: يعتبر مصدرا وثيقا للعلوم والمعارف عند الصوفية، بل تحقيق غاية عبادهم ومعناه: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الخفية وجوداً، أو شهوداً، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها: النبي ﷺ، الخضر – عليه السلام-، الإلهام، الفراسة، الهواتف، الإسراءات والمعاريج، الكشف الحسي. وللصوفية بعض المصطلحات التي تحمل معنى الكشف ومنها: الخاطر، والوارد، والتجلي، والمحادثة، والمسامرة، والذوق، والبصيرة. انظر: اصطلاحات الصوفية لابن عربي الصوفي (ص ١٤٠ — ١٤١، ١٨٠)، بذيل التعريفات للجرجاني (ص ٢٦، ٥٧، ٩٦ — ٩٧، ١٨٤)، مجموع الفتاوى (٤ / ٥٣، ١١ / ٦٥، ٣١٣ — ٣١٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٢٦٥) وموقع الدرر السنية " على الشبكة العنكبوتية الموسوعة العقدية.

(٣) من قوله "فيشتغل أحدهم" إلى قوله "ونحو ذلك" ساقطة من (ب).

(٤) في (ج) "العبادة".

(٥) في (ب) "يعرض".

(٦) "منها" ساقطة من (ب).

(٧) هو الإمام العلم الحافظ أبو بكر القرشي المدني نزيل الشام، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، نسبه إلى بني زهرة بطن من قريش، حافظ زمانه، متفق على جلالته، وإمامته، وإتقانه، مات سنة (١٢٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٦)، وتقريب التهذيب (٢ / ٢٠٧).

الاعتصام بالسنة نجاة[١]؛ وذلك [أن السنة][٢] كما قال مالك[٣] -رحمه الله-[٤]: مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٥].

والعبادة، والطاعة، والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولهذا [٦] أصلان: أحدهما: [٧] أن لا يعبد إلا الله. والثاني: أن نعبده[٨] بما أمر وشرع، لا بغير ذلك من الأهواء [٩] والبدع، قال - تعالى -: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)**﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال - تعالى -: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)**﴾ [البقرة: ١١٢]: وقال - تعالى -:﴿ **وَمَنْ**

(١) ورد هذا الأثر في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (١ / ٥٦)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٦٤) وغيرها

(٢) "أن السنة" ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب، ج).

(٣) هو عالم المدينة، ومؤسس المذهب المالكي، الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله، الفقيه المحدث، إمام دار الهجرة، ولد بالمدينة سنة (٩٥هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩ هـ). انظر ترجمته: وفيات الأعيان (٤ / ١٣٥)، سير أعلام النبلاء (٨ /٤٨)، شذرات الذهب (١ / ٢٨٩)، تهذيب التهذيب (٣ / ٤٠٣ – ٤٠٤) وغيرها.

(٤) "رحمه الله" ساقطة من (ب).

(٥) قال وهب بن منبه - رحمه الله -: "كنا عند عبد الملك فذكرت السنة، فقال مالك - رحمه الله-: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق" أورد هذا الأثر ابن عساكر في: تاريخ دمشق (٩ / ١٤)، وتاريخ بغداد (٧ / ٣٣٦) والهروي في: ذم الكلام وأهله.

(٦) في (ب، ج) "ولها ".

(٧) في (ب) "أحدها".

(٨) في (ب) "يعبده" وفي (ج): "يعبد".

(٩) في (ب) "الأهواء" زائدة في (أ).

أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥)﴾ [النساء: ١٢٥] (٦ / أ).

فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات: هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب[١] أو استحباب[٢]. فما كان من البدع في الدين التي[٣] ليست مشروعة؛ فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات، ولا من العمل الصالح. كما أن ما يُعلم[٤] أنه فجور[٥]، كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: **﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾** [الكهف: ١١٠]:

وقوله: **﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾** [البقرة: ١١٢] فهو إخلاص الدين لله وحده.

وكان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - يقول: "**اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا**"[٦].

وقال الفضيل بن عياض –رحمه الله –[٧] في قوله – تعالى –: **﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ**

---

(١) في (ب) "و".

(٢) أمر إيجابي: وهو الأمر الواجب على المؤمن: كالصلاة والزكاة، والحج، والطهارة، وبر الوالدين ونحوهما، وأما الاستحباب: فهو الأمر المستحب من الشارع كنوافل الطاعات، والإحسان إلى المساكين، ونحوها.

(٣) في (ب): "البدع التي في الدين".

(٤) في (ب): "من يعلم".

(٥) في (ب): "من يعمل ما لا يجوز".

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١ / ٩٩، ٣٣٣)، (٣ / ١٢٥) والتدمرية، (ص ٢٣٢)، والداء والدواء لابن القيم (ص ١٣٣).

(٧) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود الطالقاني الأصل، الزاهد العابد الثقة، الإمام المشهور، كان أول أمره يقطع الطريق، ثم تنسك، وسمع الحديث بالكوفة، وانتقل إلى مكة وجاور بها، إلى أن مات – رحمه الله – سنة (١٨٧هـ). انظر: حلية الأولياء (٨ / ٨٤)، سير أعلام النبلاء (٨ /٤٥١)، تهذيب التهذيب (٨ / ٢٩٤)، ووفيات الأعيان (٤ / ٤٧).

أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧، الملك: ٢]: قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا[١] صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة[٢].

فإن قيل: فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلاً[٣] في اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها، كقوله: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾** وقوله لنبيه: **﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾**[هود: ١٢٣] وقول نوح – عليه السلام –: **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣)﴾** [نوح: ٣]، وكذلك قول غيره من الرسل؟ قيل: هذا له نظائر كما في قوله: **﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾**[العنكبوت: ٤٥] [والفحشاء من المنكر][٤].

وكذلك [قوله][٥]: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾** [النحل: ٩٠] وإيتاء ذي[٦] القربى هو من العدل والإحسان، كما أن الفحشاء والبغي من المنكر، وكذلك قوله: **﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾** [الأعراف: ١٧٠] وإقامة الصلاة من أعظم التمسك

---

(١) في (أ) " صالحا " والتصويب من (ب) و(ج).
(٢) أورد هذا الأثر ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية (ص ٥٠ –٥١) وابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٩٣) وفي تفسير البغوي بهامش تفسير ابن كثير (٨ / ٤٢٤)، ومجموع الفتاوى (١ / ٩٩، ٣٣٣)، |(٣ /١٢٥)، والتدمرية (ص ٢٣٢).
(٣) في (أ، ب) "داخل" والتصويب من (ج).
(٤) في (ب) "الفحشاء والمنكر" ساقطة من أ، ب.
(٥) "قوله" ساقطة من (أ) والمثبت من (ب، ج).
(٦) من قوله "وإيتاء ذي القربى" إلى قوله "كما أن الفحشاء" ساقطة من (ب).

بالكتاب[١] وكذلك قوله عن أنبيائه: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾ [الأنبياء:٩٠] ودعاؤه[٢] رغباً ورهباً من الخيرات، وأمثال ذلك في القرآن[٣] كثير.

وهذا الباب[٤] يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصا [٥] له بالذكر؛ لكونه مطلوبا بالمعنى العام، والمعنى الخاص.

وتارة لكون دلالة الاسم تتنوع[٦] بحال الأفراد والاقتران، فإذا أُفرِدَ عم، وإذا قُرِنَ[٧] بغيره خَصّ، كاسم الفقير، والمسكين لما أفرد أحدهما في مثل قوله: ﴿ **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله**﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقوله: ﴿**إطعام عشرة مساكين**﴾ [المائدة: ٨٩] دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما في قوله – تعالى – [٨]: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ [التوبة:٦٠] صارا[٩] نوعين.

وقد قيل: إن الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال الاقتران، بل يكون من هذا الباب.

---

(١) من قوله [وأقاموا الصلاة] إلى هنا ساقط من (أ) و (ب) والمثبت من (ج).
(٢) في (ج): "ودعاؤهم".
(٣) "في القرآن" ساقطة من (ب).
(٤) أي: باب عطف الشيء على الشيء في أنواع العبادات كما تقدم.
(٥) في (ب): "فعطف عليه مخصصاً له".
(٦) في (ب): "متنوع".
(٧) في (ب): "اقترن".
(٨) "تعالى" سقط في (ب) و(ج).
(٩) في (ب) "صاروا".

والتحقيق أن هذا ليس بلازم[١] * قال[٢] – تعالى –: ﴿**مَنْ[٣] كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ [البقرة: ٩٨] وقال – تعالى –: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [الأحزاب: ٧].

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة: تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام،كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يُفهم منه العموم كما في قوله: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ *[٤] (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنـزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنـزلَ مِنْ قَبْلِكَ (٤)**﴾[البقرة: ٢-٤] فقوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ يتناول كل الغيب الذي يجب الإيمان به، لكن فيه إجمال، فليس[٥] فيه دلالة على أنّ من الغيب ما أُنـزلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنـزلَ مِنْ قَبْلِكَ. وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمخبر به، وهو الغيب وبالإخبار بالغيب[٦]، وهو ﴿**بِمَا أُنـزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنـزلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾

ومن هذا الباب قوله – تعالى –: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ**﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقوله – تعالى –:[٧]﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا**

(١) في (ج): "لازماً".
(٢) في (ب): "وقال".
(٣) في (أ، ب) "قل من" وهو خطأ.
(٤) في (أ): "للمؤمنين" وهو خطأ.
(٥) في (ب): "وليس".
(٦) "بالغيب" ساقطة من(ب).
(٧) "تعالى" ساقطة من (ج).

﴿الصَّلاةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وتلاوة الكتاب هي[١] اتباعه، كما قال ابن مسعود- رضي الله عنه - في قوله[٢]:**﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾** [البقرة: ١٢١] قال: "يحللون حلاله ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه"[٣]. فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها، لكن خصصها[٤] بالذكر لمزيتها، وكذلك قوله لموسى عليه السلام [١٤ طه]: **﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾** وإقام[٥] الصلاة لذكره من أجل عبادته [٦]، وكذلك قوله – تعالى -: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠)﴾**[الأحزاب: ٧٠] وقوله: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** [المائدة: ٣٥] وقوله: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة: ١١٩] فإن هذه الأمور هي أيضا من تمام تقوى الله، فكذلك[٧] قوله: **﴿فَاعْبُدْهُ[٨] وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾** [هود: ١٢٣] فإن التوكل والاستعانة هي من عبادة الله، لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد[٩] بخصوصيتها[١٠] فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة؛ إذ هو- سبحانه- لا يعبد إلا بمعونته.

---

(١) في (ب): "هو".
(٢) في (ج): "قوله تعالى".
(٣) وقد روي هذا الأثر عن أكثر من واحد من الصحابة، وبألفاظ متقاربة، وكما ذكر ذلك شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤ / ١٧) حيث قال: "وكما جاء عن ابن مسعود وغيره". انظر تفسير الطبري (٢ / ١٦٦)، وتفسير البغوي (١ / ١٤٥)، وتفسير القرطبي (١ / ٩١ – ٩٤).
(٤) في (ب، ج): "خصها".
(٥) في (ب، ج): "وإقامة".
(٦) في (ب): "عباداته".
(٧) في (ج): "وكذلك".
(٨) في (أ): "اعبده" وهو خطأ.
(٩) في (ب): "العبد".
(١٠) في (ب، ج): "بخصوصها".

إذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبودية الله[(١)]، وكلما ازداد[(٢)] العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق، وأضلّهم، قال – تعالى[(٣)]: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ[(٤)] (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾** [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

وقال – تعالى –: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا[(٥)] (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾** [مريم: ٨٨-٩٥] وقال – تعالى – في المسيح:**﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾** [الزخرف: ٥٩]: وقال – تعالى –: **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾** [الأنبياء:١٩-٢٠].

---

(١) في (ب، ج): "عبوديته لله".
(٢) في (أ): "أراد"، والتصويب من (ب) , (ج)، وهو الأنسب للسياق.
(٣) في (ب): "قال الله تعالى".
(٤) في (ج) قال بعدها: "إلى قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾".
(٥) في (ج) قال بعدها: إلى قوله: "﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾".

وقال - تعالى -: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ[١] الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا[٢] (١٧٢) * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧٣)﴾ [النساء ١٧٢ -١٧٣]: وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ [غافر: ٦٠] وقال - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨) ﴾ [فصلت: ٣٧-٣٨]: وقال - تعالى -:﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً[٣] وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)[٤]﴾[الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦].

وهذا ونحوه مما فيه وصف أكابر الخلق بالعبادة، وذمه[٥] من خرج عن ذلك متعدد

---

(١) الاستنكاف: هو التكبر والامتناع مع الأنفة فهو أشد من الاستكبار. والاستكبار: هو العلو والتكبر مع غير أنفة. انظر: تفسير البغوي، وتفسير الجلالين، وقيل غير ذلك. انظر تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير.

(٢) في (ج): قال بعدها "إلى قوله: ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾".

(٣) في (ج): قال بعدها "إلى قوله: ﴿إن الذين عند ربك﴾".

(٤) في (ب): "ولا يسجدون" وهو خطأ، ولعله تصحيف، أو خطأ من النساخ.

(٥) في (ج) "وذم".

في * القرآن، وقد أخبر الله[(١)] أنه أرسل جميع الرسل بذلك فقال – تعالى –: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾** [الأنبياء:٢٥] وقال – تعالى –[(٢)]: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾** [النحل: ٣٦] وقال – تعالى – لبني إسرائيل: **﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) [(٣)]﴾** [العنكبوت: ٥٦] **﴿وإياي[(٤)] فاتقون﴾** [البقرة: ٤١] وقال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾** [البقرة: ٢١] وقال – تعالى –:**﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾** [الذاريات: ٥٦][(٥)] وقال – تعالى –: **﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِه﴾** [الزمر: ١١–١٥].

وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله كقول نوح ومن بعده– عليهم السلام–[(٦)]:**﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** [الأعراف:٥٩].

*نهاية (١٠ / ب).
(١) لفظ الجلالة "الله" لم يذكر في (ب) و(ج).
(٢) "تعالى" ساقطة من (ج).
(٣) في (ج): ساق صدر الآية: "﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ...﴾".
(٤) في (ب): "فإياي" وهو خطأ، ولعله تصحيف.
(٥) ما بين قوسين ساقط من (أ) و(ب).
(٦) "عليهم السلام" زائدة في (أ) و (ج).

وفي "المسند"[١] عن ابن عمر – رضي الله عنهما –[٢] عن النبي ﷺ أنه قال: **"بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له،وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري"**[٣].

وقد بين أن عباده هم الذين ينجون من الشيطان[٤]، قال الشيطان: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾** [الحجر: ٣٩–٤٠]، قال الله[٥] – تعالى –: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾** [الحجر: ٤٢]، وقال[٦]:**﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾** [ص: ٨٢ –٨٣] .

وقال في حق يوسف[٧] – عليه السلام– :**﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾** [يوسف: ٢٤]، وقال:**﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ**

---

(١) أي: في مسند الإمام أحمد – رحمه الله – وهو كما قال، ورواه غيره كما سيأتي.
*نهاية (١٠ / ب).
(٢) "رضي الله عنهما" ساقطة من (ب) و (ج).
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٥٠، ٩٢)، وصححه الألباني – رحمه الله – في الإرواء برقم (١٢٦٩)، وذكره الهروي في ذم الكلام برقم (٤٧٦)، والذهبي في السير (١٥ / ٥٠٩)، وروى البخاري في صحيحه (معلقا) قوله: (جعل رزقي تحت ظل رمحي)، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري) في كتاب "الجهاد" باب "ما قيل في الرمح".
(٤) في (ج): "السيئات".
(٥) لفظ الجلالة "الله" لم يذكر في (ج).
(٦) في (ب): "قال".
(٧) "عليه السلام" ساقطة من (ب) و(ج).

عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾ [الصافات: ١٥٩-١٦٠] وقال: **﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾** [النحل: ٩٩ – ١٠٠].

وبها نعت الله – تعالى–[١] كل من اصطفاه[٢] من خلقه كقوله – تعالى[٣]: **﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥)﴾**[٤].

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ[٥] **(٤٦)﴾** [ص: ٤٦] وقوله: **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ**[٦] **ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)﴾** [ص: ١٧]. وقال عن سليمان: **﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ**[٧] **إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)** }[ص ٣٠]. وعن أيوب[٨]: **﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾** [ص: ٤٤]. وقال: **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾** [ص: ٤١]: وقال عن نوح – عليه السلام–: **﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)﴾** [الإسراء: ٣]. وقال **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**[٩]**﴾** [الإسراء: ١]: – وقال: **﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ**

---

(١)"الله تعالى" لم تذكر في (أ) و (ج) والمثبت من (ب).
(٢) في (ج) "اصطفى".
(٣) "تعالى" زائدة في (أ).
(٤) في (ب) ذكر الآية هنا.
(٥) في (ج) زاد بعدها: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾.
(٦) في (أ): " عبادنا " وهو خطأ، ولعله تصحيف
(٧) في (ب): ذكر الآية إلى هنا.
(٨) في (ب): "وقال عن أيوب".
(٩) في (ب): زاد بعدها ﴿من المسجد﴾، وفي (ج): زاد بعدها ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَـــزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** [البقرة: ٢٣]، وقال: **﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)﴾** [النجم: ١٠]، وقال: **﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾** [الإنسان: ٦]، وقال: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾** [الفرقان: ٦٣]، ومثل هذا(١) متعدد في القرآن.

* * *

(١) في (ج): "هذا كثير".

فهرست المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- **الإبانة عن أصول الديانة**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل، تقديم حماد بن أحمد الأنصاري، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة**، الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري الحنبلي بتحقيق رضا بن نعسان، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣- **أحكام أهل الذمة**، المؤلف: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية المحقق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م.

٤- **أحكام القرآن**، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥- **إحياء علوم الدين**، للغزالي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٥٨هـ.

٦- **الاستقامة**، لابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٧- **الأسماء والصفات** للبيهقي، المؤلف: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين

البيهقي، حققه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – ١٤١٣هـ.

٨- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

٩- **الاعتصام** للإمام الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠- **الاعتقاد على مذهب السلف**، للإمام أبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١١- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، لفخر الدين محمد الرازي، تحقيق: المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٢- **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ.

١٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، للإمام ابن القيم الجوزية، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ.

١٤- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق خالد العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٥- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**،لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: د/ ناصر العقل، دار المسلم، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ.

١٦- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، عناية: أبو عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، دار البخاري، ١٤٠٩هـ.
١٧- **إيثار الحق على الخلق**، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، دار العلم، بيروت، ١٣١٨هـ.
١٨- **الإيمان**: لشيخ الإسلام ابن تيمية: تقي الدين أبي العباس، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
١٩- **بدائع الفوائد**، للإمام ابن القيم الجوزية،تحقيق هشام عبد العزيز عطا عادل عبد الحميد العدوي، إشراف أحمد الحجال، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢٠- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي – تحقيق د / أحمد أبو ملحم، د/ علي نجيت عطوي، أ / فؤاد السيد، أ / مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٠هـ.
٢١- **تأويل مختلف الحديث**، لابن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٢- **تأويل مشكل القرآن**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح السيد / أحمد صقر، دار الطباعة المكتبة العلمية.
٢٣- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ.
٢٤- **قريب التهذيب**، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، عناية محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا ١٤٠٨هـ.

٢٥- **تلبيس إبليس**، لابن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب، بيروت.

٢٦- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني، تحقيق: يمان المياديني، رمادي للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٧- **تهذيب الآثار**، لأبي جعفر الطبري، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني.

٢٨- **التوبة**، لابن القيم الجوزية،تحقيق صابر البطاوي، دار الأندلس جدة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢٩- **التوحيد**، أبو عبد الله بن مَنْدَه، حققه: الدكتور علي الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ.

٣٠- **جامع البيان في تفسير القرآن**، للإمام الطبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.

٣١- **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٩هـ.

٣٢- **خلق أفعال العباد**، للبخاري، مطبوع ضمن عقائد السلف، جمع سامي النشار، وعمار الطالبي، منشأة المعارف بالإسكندرية.

٣٣- **درء تعارض العقل والنقل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية: تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٤- **الدين الخالص**، محمد صديق حسن، تحقيق محمد زهري النجار، دار التراث، القاهرة.

٣٥- **الروح**، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
٣٦- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، للإمام ابن القيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.
٣٧- **السنة**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال، المحقق: د.عطية بن عتيق الزهراني، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.
٣٨- **السنة**، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل السنة، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني الناشر: دار ابن القيم – الدمام الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
٣٩- **سنن أبي داود** – دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ، سورية.
٤٠- **سنن ابن ماجه**، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ.
٤١- **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ.
٤٢- **سير أعلام النبلاء**، للإمام شمس الدين بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ.
٤٣- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٤٤- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للإمام الحافظ أبي القاسم الطبري، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان، دار طيبة – السعودية،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ.

٤٥- **شرح السنة**، للإمام أبي الحسن البربهاري، تحقيق: د/ محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٦- **شرح العقيدة الطحاوية**، للإمام القاضي علي بن محمد أبي الفداء الدمشقي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

٤٧- **شرح قصيدة ابن القيم**، أحمد بن عيسى، المكتب الإسلامي.

٤٨- **الشريعة**، للإمام محمد بن أبي بكر محمد الآجُرِّيُّ، تحقيق حامد فقي، دار الباز، مكة المكرمة،دار الكتب، بيروت.

٤٩- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٥٠- **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٥١- **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ.

٥٢- **صحيح مسلم**، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٣- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق:

حازم القاضي، مكتبة الباز،مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٥- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق: د/ ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٦- **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، دار المعرفة، بيروت.

٥٧- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: ابن باز والفقي، عناية صادق بن صادق، دار المنار بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥٨- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد عبد الحميد، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ودار المعرفة، بيروت.

٥٩- **الفروسية**،لشمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفتيح، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٦٠- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٦١- **الفوائد**، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٦٢- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة معارف، باكستان ١٣٩٧هـ.

٦٣- **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل**

الشرك والنفاق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ.

٦٤- **القضاء والقدر**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضبط وتعليق: أحمد السايح، والدكتور السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

٦٥- **لمعة الاعتقاد**، للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٦٦- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم، دار عالم الكتب.

٦٧- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٨- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**،لشمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ.

٦٩- **المسَائِلُ الماردينيَّةِ في فقه الكتاب والسنة**، ورفع الحرج في العبادات والمعاملات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

٧٠- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٧١- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لشمس الدين ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٢- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٧٣- **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**، للعليمي، تحقيق: محمد عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٧٤- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ.

٧٥- **النبوات**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* * *